OPEN ACCESS
Journal of Arabic Research (AIOU)
jar.aiou.edu.pk
iri.aiou.edu.pk

الشيخ علي الطنطاوي وأسلوب خطبه في كتابه هتاف المجد (دراسة وصفية)

Al Sheikh Ali al Tantaavi & His Style of Oratory in His Book "Hitaaf al Majd" Descriptive Study

۞الدكتور حافظ محمد بادشاه
الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد
۞۞ الدكتورحافظ محمد أرشد إقبال
أستاذ مساعد،قسم القرآن والتفسير، جامعة العلامة إقبال المفتوحة،إسلام آباد

ABSTRACT

Al Sheikh Ali al Tantaavi is one of the versatile Islamic scholars of the twentieth century who wrote almost in every field of Arabic literature and Islamic studies. He wrote about history, literature, journalism, Islamic jurisprudence, about social reforms in Muslim societies across the world. He has served in variety of areas that attracts worldwide scholars to write about his views embellished with his sincere and truthful thoughts. His way of writing and his thoughts open channels for researchers in different fields of research. In the following article, I have choosen one of his books "Hitaaf al Majd" as research area for studying his style of oratory. The article is divided into three main sections in the following way.
Section 1: Biography of the Sheikh Ali al Tantaavi
Section 2: Brief Introduction of his Books
Section 3: Descriptive Study of the Book "*Hitaaf al Majd* and its Oratories"
Conclusion: Results and Suggestions.

Keywords: *Al Sheikh Ali al Tantaavi*, Arabic literature, Islamic studies, *Hitaaf al Majd*

التمهيد

إن شخصية الشيخ علي الطنطاوي مترامية الأطراف كل طرف منها يسع أن يبحث عنه وتقدم فيه رسائل علمية، إنه قد ترك لنا ثروة فنية وفكرية وأدبية خالصة ضخمة تتمثل في مجموعات من الكتب والأبحاث والمقالات والرسائل والتعليقات والتحقيقات التي كتبها في مراحل عمره المختلفة التي تتميز هي بأسلوبه الأدبي الرفيع وبيانه البديع الساح وحرارته العاطفية الصادقة وفكرته العلمية. ولأجل

هذا اخترته موضوعًا للبحث، وعنونته الشيخ علي الطنطاوي وأسلوب خطبه في "هتاف المجد" دراسة وصفية.

فأحببت أن نتقدم ببحث عنوانه"الشيخ علي الطنطاوي وأسلوب خطبه في كتابه هتاف المجد(دراسة وصفية)"وسوف ينقسم البحث إلى ثلاثة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول:ترجمة موجزة للشيخ علي الطنطاوي.

المبحث الثاني:نبذة تعريفية لمؤلفاته الأدبية.

المبحث الثالث:دراسة وصفية لكتابه''هتاف المجد'' وخطبه المذكورة فيه.

الخاتمة وفيها أهم التوصيات والمقترحات.

المبحث الأول:ترجمة موجزة للشيخ علي الطنطاوي

إن الشيخ علي الطنطاوي شخصية محبوبة وشهيرة في جميع أوساط بالمملكة العربية السعودية وسورية، وهو مقيم في المملكة منذ عام ١٣٨٤ هـ فهو مواطن يعرفه الجميع بأحاديثه عبر الإذاعة والتلفزيون، يتميز بلهجته السورية التي لم تفارقه

وقد وصف بعض الأدباء في أقوالهم إنه متحدث مستطرد،موسوعي،متسامع، يأخذ بأيسر الأمور،جريء،وصريح،وقد كان في شبابه أشد جرأة كما يقول عن نفسه:"وأنا متهم من مطلع الشباب بالجرأة والإقدام وأني طويل اللسان صامد الجنان"[١]

اسمه ونسبه

هو علي بن مصطفى بن أحمد بن علي بن مصطفى، وهذا كل ما يعرفه الشيخ علي الطنطاوي عن نسبه.[٢] والطنطاوي نسبة إلى مدينة طنطا،من مدن جمهورية مصر العربية والتي وفد منها جدّه لأبيه أحمد الطنطاوي وعمّ جده محمد الطنطاوي، وعُرِفا بأنهما من كبار علماء الشام.

ويذكر الشيخ علي الطنطاوي بأن إضافة اسم محمد إلى اسمه، إنما هو تبرّكًا بالاسم كعادة أهل الشام في ذلك وإنما يبقى اسمه الحقيقي علي.[٣]

ولادته

ولد الشيخ علي الطنطاوي فجر يوم الجمعة٢٣م٠ن جمادي الأولى سنة ١٣٢٧ الموافق ١٩٠٩م في دار جده الشيخ أحمد الطنطاوي في حي من أحياءدمشق،ويقع الآن في وسط

البلد،قرب الجامع الأموي.فبدأ الدراسة الأولى بالمدرسة الجقمقية الأهلية القريبة من المسجد الأموي[٤]

نشأته

وقد نشأ الأستاذ علي الطنطاوي في الصراع بين الحرية والاستعمار في الوطن العربي كله وفي الشام الذي قاست من كسف الاستعمار الفرنسي كثيرا وفتح عينيه على الدنيا أيام الحرب الأولى كان في العاشرة من عمره ١٩١٨م عندما فرضت الهدنة ووقع تآمر بريطانيا على الأمة العربية وتحمت الوعود التي بذلت بإقامة الدولة العربية.

أدرك الشيخ علي العهد العثماني ثم الشريفي ثم الفرنسي ودرس بالمدرسة،وكان من مدرّسيه العرب، والأتراك والفرنسيون، ومنذ صغره وهو يعتلي المنابر خطيبًا في زملاءه الطلاب والجماهير.وكانت حياته في المنزل كأكثر بيوت الشام في تلك الأيام لا تخلو من خصومات ومنازعات،فيه حزبان،حزب جدته وعمته التي كان لها أعمق الأثر في قلبه،وكانت أكبر سنًا من أبيه،وحزب أمه وإخوانه وهو معهم،فالخير كثير،فأمه تدّخر لأولادها،وجدّته وعمته تدخران للضيوف فيقع النزاع وتدور المعارك،فيغلب هذا الحزب حينًا،ويغلب الثاني حينًا آخر.

وفي بداية حياة الشيخ علي الطنطاوي لقي دلالاً لأنه بكر أبيه،ففرح به جدّه وأولاده من اللين والعطف ما لم ينل مثله أحد على الرغم من قسوة وشدة هذا الجدّ،الذي توفي عند إعلان الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م،فانتهى بذلك عهد الدلال وعاش حياة أقرب إلى الجدّ الخالص،وبدا به عهد المدرسة فلم يعرف اللهو مع الأولاد الصغار بالحي ولم يتخذ أي صديق سوى رفاق المدرسة وفي محيطها فقط.[٥]وبعد فترة من الزمن استأجر والده داراً بحي الصالحية فانتقلوا إليها،وكانت من الدور الواسعة،على سفح جبل بها غرف كثيرة ولها إيوان وطبقة عالية لقضاء الشتاء.[٦]

إن الشيخ علي الطنطاوي ملازمًا لوالده في المنزل يساعده في خدمة الضيوف وطلاب العلم بتقديم الماءوالشأي،ويناوله الكتب ليقرأها ويُدرسها لطلابه،فكان الشيخ علي وهو طفلٌ صغيرٌ يلتقط كلمة بعد كلمة وبذلك عرف بعض أسماء الكتب،ومن ثمّ كان ارتباطه بالكتب من خلال مكتبة أبيه العامرة بالكتب المختلفة فشغف بالاطلاع عليها، وفي ذلك يقول الشيخ الطنطاوي:"ولو حدثتكم عن

الكتب التي قرأتها وأنا في تلك السن،وأنا تلميذ في السنة السادسة الابتدائية لما صدقتم،وكنت أمضي يومي إلا ساعات المدرسة في الدار لا أجد ما أشغل نفسي وأملأ به فراغ حياتي إلا القراءة،فإذا أكملت كتابة وظائفي واجباتي الدراسية . ومطالعة درسي،مددت يدي إلى المكتبة،فاسحب كتابًا فافتحه فأنظر فيه..وقد رسخ في نفسي اسمه واسم مؤلفه"[٧] ثم إن أباه قد ألزمه معلمًا هو الشيخ الكافي،يتلقى عليه دروسًا إضافية فوق دروسه التي كان يأخذها بالمدرسة في غرفة لهذا الشيخ،فكان يتمنى الخلاص مها،فاستفاد منها في مستقبل حياته، فقد حفظ متون الكتب كألفية بن مالك،والجوهر المكنون في البلاغة،ومتونًا أخرى عادت عليه بالنفع الكثير في كبره.[٨]وبذلك يكون الشيخ علي الطنطاوي قد سلك في دراسته طريقتين،طريقة المدارس النظامية،وطريقة ملازمة المشايخ،وهي على الأسلوب الأزهري فأخذ خيرهما وأنفعها.وبعد وفاة الشيخ مصطفى الطنطاوي عام ١٣٤٣ هـ،غيرت حالة الأسرة،وانتقلت الأسرة من الدار الفسيحة إلى دار صغيرة.ولأجل أسوأ حالة الأسرة كان الشيخ علي سعى لطلب العيش له ولإخوانه وأمه،فتنقل في شبابه في عدة مهن،عمل محاسبًا مرة،ومرة تاجراً،ومعلمًا،وصحفيًا.

زواجه

تزوج الشيخ علي من قريبة له من أهل أمه آل الخطيب ابنة الشيخ عبد الفتاح الخطيب،بعد رحلة طويلة في العلم بالتدريس،والصحافة،والغربة معلماً،فأنجبت له خمسًا من البنات،وكان في بداية حياته يتمنى ابنًا يحمل اسمه حيث كان يكتب في الصحف تحت توقيع أبا الهيثم تيمّناً بهذا الاسم،ولكن إرادة الله فوق كلّ ذلك،فكان يستدل بالآية الكريمة﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾[٩] انتقل الشيخ علي إلى المملكة العربية السعودية،في عام ١٣٧٣هـ للتدريس في كلية اللغة العربية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود حاليًا بالرياض، ثم إلى كلية التربية بمكة المكرمة.

حياته العلمية والعملية

دراسته

وقد بدأ الأستاذ الطنطاوي حياته الدراسية بالكتّاب في بلاد الشام،وهو مدرسة الملك الظاهر التي تعرف بالمدرسة الأثرية،ودخل هذه المدرسة قبيل الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م،فالأستاذ الطنطاوي

يقول في هذه المناسبة:"كان فيها كتّاب أخذني جدي إليه وأنا ابن خمس سنين وكان الكتاب مغلق الباب مسدود النوافذ ولم يكن فيه مقاعد وكان الأولاد يجلسون على الأرض في صفوف تتراص حينا وتنفسح حينا آخر تبعًا لحالة السوق وكثرة الأولاد إلا أن المعروف عن الكتّاب أنه كجهنم لا يرد أتيا".[١٠]

ثم يقول في موضع آخر:"فبقيت فيه بعض يوم ولكن مرارته لم تذهب من حلقي إلى اليوم لا أزال أحس بها كأنما تجرعت بالأمس غصصها،وقد مات جدي الذي أخذني إلى الكتاب سنة ١٣٣٢ هـ أي من ثلاثة أرباع القرن ولكن ثلاثة أرباع القرن لم تشفني من الصدمة التي ضعضعت نفسي في تلك الساعات الثلاث التي قضيتها في الكتاب أفلا يتصور دعاة الرجوع إليه أن للأطفال قلوبًا ومشاعر وأنهم يسرون ويألمون كما يألم الكبار ويسرون.[١١]

فالأستاذ الطنطاوي واصل دراسته الابتدائية في مدارس مختلفة كالمدرسة الأثرية والمدرسة الجوهرية والمدرسة الأمينية التي كانت مديرها الشيخ الشريف الخطيب وهو ابن خالته الكبرى وقد كان عنده تلميذا ثم صار معلما في جميع هذه المدارس، وكان الشيخ صالح التونسي مدرسا له في المدرسة الجقمقية فلزمه سنين وسنين يوم كان مقيماً في دمشق.

قال الأستاذ أبو الفضل عبدالحفيظ البلياوي تعليقا على مختارات من أدب العرب للأستاذ أبي الحسن الندوي في دراسته"وقرأ على علماء دمشق كالشيخ أبي الخير الميداني والشيخ صالح التونسي وغيرهم ودخل مدرسة نظامية ونال شهادة الحقوق من الجامعة السورية ومكث أقل من سنة في دار العلوم المصرية[١٢]واعتنى الأستاذ الطنطاوي منذ صغره بالفقه والأدب فأخذ حظا موفوراً من الأدب وإدراكا كاملاً من الفقه حيث يقول:"وفهمت بحمد الله كل ما قرأت وحفظته ورب قارئ لا يفهم وفاهم لا يحفظ[١٣]فقرأ كتب الفقه على أبيه ثم الفقيه الكبير المفتي الشيخ عطا الكسم بعد ما توفي أبوه وقرأ على جماعة من المشايخ كالشيخ أبي الخير الميداني وغيره.ولما تخرج من الثانوية فكان متمكنا من العلوم والفنون غزير الاطلاع واسع المعرفة وكان يختلف إلى بعض العلماء فيسمع دروسهم العامة في المساجد ودروسهم الخاصة في البيوت فما أكمل الدراسة الثانوية حتى أتقن قراءة النحو على المشايخ وقراءة البلاغة والفقه وأصول الحديث وحفظ تراجم مئات من أعلام الإسلام من الصحابة والتابعين والفقهاء والمحدثين والمفسرين

والفلاسفة والرواد والأدباء والشعراء وقد فرغ من مطالعة الإصابة وأسد الغابة والاستيعاب وتهذيب التهذيب وتهذيب الأسماء واللغات والوفيات لابن خلكان ومعجم الأدباء وطبقات السبكي وتاريخ الخطيب وما إلى ذلك من الكتب النافعة وهو في الثانوية.ثم التحق بكلية الحقوق في الجامعة السورية وبرع في جميع المواد الدراسية في الحقوق وتعمق في القانون الإسلامي والأحوال الشخصية حتى ارتقى فيما بعد إلى أن وضع هو مشروع قانون الأحوال الشخصية في الشام ولا يزال يعمل به حتى الآن وأصبح مستشار المحكمة التمييز بدمشق.

وفي سنة ١٩٢٨م كان يحمل شهادة البكالوريا فقدم طلبا إلى الجامعة المصرية فلما أبطأ الجواب دخل في دار العلوم ولم يكملها بل مكث أقل من سنة ورافق فيها الشهيد السعيد سيد قطب حيث يقول الأستاذ الطنطاوي:"وكنا في مقعد واحد ثم نسيني ونسيته وكانت معركة الرافعي والعقاد فدخلت فيها وما أنا من أقطابها فكنت مع العريان وشاكر عليه فشتمني وشتمته ثم كتب الله له الخير والله يعطي من يشاء بغير حساب.فسلك غير طريق النقد وتبرأ من أكثر ما كانت كتب فيه فصار من أركان الدعوة إلى الله فأجبته من قلبي وأظن أنه أحبني وطالما لقيته بعد ولقين ونشرت لنا صور وجمعتنا مجالس"[١٤]

بعد ذلك ذهب إلى مصر ودخل دار العلوم العليا،وكان أول طالب من الشام يؤم مصر للدراسة العالية،ولكنه لم يتم السنة الأولى،وعاد إلى دمشق في السنة التالية ١٩٢٩م،فدرس الحقوق في جامعتها حتى نال (الليسانس) الإجازة الجامعية سنة ١٩٣٣م. وقد رأى-لما كان في مصر-لجاناً للطلبة لها مشاركة في العمل الشعبي والنضالي، فلما عاد إلى الشام دعا إلى تأليف لجان على تلك الصورة؛ فأُلفت لجنة للطلبة سميت"اللجنة العليا لطلاب سوريا"وانتخب رئيساً لها وقادها نحواً من ثلاث سنين.وكانت لجنة الطلبة هذه بمثابة اللجنة التنفيذية للكتلة الوطنية التي كانت تقود النضال ضد الاستعمار الفرنسي للشام، وهي التي كانت تنظم المظاهرات والإضرابات، وهي التي تولت إبطال الانتخابات المزورة سنة ١٩٣١م.

الشيخ علي الطنطاوي أديبا

الأستاذ علي الطنطاوي رائد كبير من رواد الأدب العربي الحديث وركن قوي من أركان النهضة الأدبية الحديثة وروح من أرواحها الفعالة الراقية المتحضرة والفارس الأسبق في ميدان الأدب الإسلامي.

هو الذي صاغ الأدب في قالب البطولات الدينية والحماسات الإسلامية وأبرق أدلة في مجال التعليم والتدريس والخطابة والكتابة وليس هو بمعزل قط عن الأدب، بل يتكلم بالأدب ويخب بلهجة أدبية ويكتب بأسلوب أدبي رصين.

وكان له أثر ملموس في إحياء النهضة الفكرية الإسلامية وتشجيع الحياة الأدبية التي أصبحت راكدة جامدة بعد سقوط الدولة العباسية ووصلت إلى الموت والهلاك ونقرة السقوط في الدولة العثمانية.[١٥] وأسلوبه الأدبي جعله محبوباً لدى القراء فكانوا في انتظار شديد مع شوق ورغبة إلى مقالاته وكتاباته وكان متضلعا في فنون الأدب وهو لم يبلغ شبابه.تجول قريحته الأدبية في شتى الموضوعات الإسلامية وهو شاب ولكن الأفكار والأسلوب والموضوعات ناضجة قوية نادرة كأنها من أديب شيخ ناضج لأن الشاب لا يتمكن على تقديم مثل هذه الأفكار السامية والموضوعات العلمية القيمة.والناس كانوا يعتقدون فيه أنه شيخ وهو لم يتجاوز من عمره الثلاثين،حيث يقول الشيخ علي الطنطاوي:"لما شرعت أكتب في الرسالة في أوائل عهدها كان القراء يحسبونني شيخًا كبيرا السن"[١٦]

ومن الحق أن الله إذا وهب عبدا ذكاء ونباهة لا يحتاج إلى أن يكون كبير السن في إظهار ملكته الأدبية الراسخة القوية،وذلك فضل الله يؤتيه من يشاءوالله ذو الفضل العظيم.

ولأجل ذلك كان يدعي الأستاذ الطنطاوي بالشيخ الطنطاوي وهو شاب كما يذكر الشيخ الطنطاوي أنه دخل في فندق وبات فيه ولما أصبح وخرج منه فحصر الفندق بعض من يريدون لقاءه فقالوا لأمين الفندق هل كان عندكم في هذا الفندق الشيخ الطنطاوي؟فأجاب عملة الفندق:لا علما بأن الضيف الذي بات البارحة هو ليس بشيخ بل هو شاب. وفي الحقيقة أن حصول الخطاب بالشيخ في الشباب منزلة رفيعة في الأوساط العلمية.

الشيخ علي الطنطاوي خطيباً

منذ اتصاله بحقل العلم صغيراً،فقد درج على الخطابة وهو في المدرسة التجارية الابتدائية،حيث كانت أول خطبة له ضد المستعمرين،فعُوقب بالكسر في علامة الأخلاق والسلوك.ثم أصبحت الخطابة بالنسبة له متنفسًا يُعبر من خلالها عن آلام مجتمعه وأمته الإسلامية وآمالهم إلى الغد المشرق فقد مارسها في بلده سوريا، وفي العراق،ومصر وغيرها من

البلدان،فأصبح خطيبًا مفوهًا يشكل قلقاً للسلطات الجائرة، وسيرة حياته مع الخطابة شيقة ومتعددة،فقد كانت له صوتٌ جهور،يتحدث بلغة عربية سليمة.

وسأتحدث في المبحث الثالث عن خطبه بالتفصيل إن شاء الله.

المبحث الثاني:نبذة تعريفية لمؤلفاته الأدبية

ألف الشيخ علي الطنطاوي العديد من المؤلفات في مطلع شبابه بسورية،وفي بغداد ولبنان،والرياض،ومكة أثناء عمله بالتدريس أثناء إقامته المملكة العربية السعودية،إلا أن المطبوع منها يبلغ حوالي اثنين وخمسين مؤلفاً،تضمنت العديد من الموضوعات التربوية ومن أهم كتبه ما يلي:

هتاف المجد (وسأتحدث عن هذا الكتاب في المبحث الأخير)

صور وخواطر	سنة الطبع ١٩٨٢
من حديث النفس	سنة الطبع ١٩٨١
الجامع الأموي	سنة الطبع ١٩٦٠
قصص من التاريخ	سنة الطبع ١٩٨٣
أبو بكر الصديق،	سنة الطبع ١٩٨٦
عمر بن الخطاب،	سنة الطبع ١٩٨٣
بشار بن برد	سنة الطبع ١٣٤٨ هـ
بغداد	سنة الطبع ١٩٦٠
في إندونيسيا	سنة الطبع ١٩٦٠
سلسلة أعلام التاريخ	سنة الطبع ١٩٨٩
فصول إسلامية	سنة الطبع ١٩٦٠
سلسلة حكايات من التاريخ	سنة الطبع ١٩٦٠
بشار بن برد	سنة الطبع ١٣٤٨ هـ
قصص من الحياة	سنة الطبع ١٩٨٠
في بلاد العرب	سنة الطبع ١٣٣٩ هـ
الذكريات ويقع في ثمانية أجزاء.	سنة الطبع ١٩٨٩

المبحث الثالث:دراسة وصفية لكتابه هتاف المجد وخطبه المذكورة فيه

الخطابة من الفنون القديمة التي عرفها الناس منذ قديم الزمن،وقد يكون موضوع الخطبة سياسياً أو اجتماعياً أو دينياً او علمياً وقد يكون لإثارة العواطف البشرية وتحريكها للحرب أو للثأر لأن الخطبة شأنها إثارة العواطف أكثر من توصيل الفكر.ومنها خطبة الجمعة التي فيها توجيه للمسلمين على خيرهم في الدنيا والآخرة،وكانت الخطبة كذلك لتحريك الجيوش للجهاد وتحريضهم على القتال وتشويقهم إلى الجنة،وخطبة طارق بن زياد في هذه المناسبة معروفة جداً.

وقد ساهم الأستاذ الطنطاوي في جميع هذه الأقسام من الخطابة وكتابه (هتاف المجد) يحوي مثل هذه الخطب البليغة المؤثرة.

وهذا الكتاب مجموعة مقالاته وخطبه التي لم تنشر قبله،أما المقالات فأكثرها في الثلاثينيات وأما الخطب فكان يلقيها ارتجالاً وبعضها قد أذيعت في الأربعينيات إلى أواخر الخمسينيات.ومعظم هذه الخطب والمقالات حول الأحداث السياسية التي أحدثها الاستعمار الغربي من الفرنسيين والإنكليز وحول الكفاح الإسلامي في كل بلد من بلاد المسلمين من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب وبعضها دينية واجتماعية.وللخطابة مكانة كبرى وأهمية بالغة عند الأستاذ الطنطاوي فإنه ليس من الخطباء المرتزقين بخطبهم وكلامهم والذين يرون الخبة بضاعة يتجرون بها.

وكان يخطب ارتجالاً وكم من خطبة له ضاعت حتى أنه فكر في تدوينها وجمعها واهتم بها فنشر بعضها في هذا الكتاب،ويقول الأستاذ الطنطاوي في هذه المناسبة:"ولو أني دونت كل ما كنت ألقيته كما دونت هذه الخطب لكان لديّ منها ما يملأ عشرة كتب من أمثل هذا الكتاب،وعند الله أرجو عليها الثواب".[١٧]

والأستاذ الطنطاوي يعتبر الخطابة من أقوى السلاح فيحارب به العدو المستعمر في كل أرض مسلمة ويعتبرها كذلك من أقوى القوى الحربية حيث يقول:وخطبة طارق هي التي فتحت الأندلس وخطبة الحجاج أخضعت يوما العراق وأطفأت نار الفتن التي كانت مشتعلة فيه.

إنه قد ساهم في الخطابة في أماكن كثيرة من بلاد مختلفة فنراه يخطب حينا في الجامع الأموي في دمشق وحينًا آخر في الأزهر في القاهرة،ثم نراه يخطب في مسجد الإمام الأعظم في بغداد ومن بعد في المسجد الجامع في دهلي، وكذلك في ندوة العلماء في لكنؤ وفي حديقة آرام باغ في كراتشي وفي ساحة كمبير في جاكرتا في إندونيسيا. مع أنه خطب في بلاد مختلفة وفي أقاليم متنوعة ولكن مع ذلك"فما كان يختلف علىّ إلا الزمان والمكان واللون واللسان،أما الإيمان فهو هو وأما العافية فهي هي وأما الحماسة لفلسطين والحب لهذا الحرم والرغبة في الجهاد في سبيل القضايا الإسلامية فلم تكن تختلف أبدا"[١٨]

وفي الكتاب تذكير بأيام المجد السالف لدى العرب والمسلمين وتحريض على الكفاح من أجل التحرير فيقول:"هذا تاريخنا ما سمعت أذن الزمان تاريخا أحفل منه بالمفاخر وأغنى بالنصر واملأ بالأمجاد و والله الذي جعل العزة للمؤمنين وجعل الذلة لليهود لنكتبن هذا التاريخ مرة ثانية،ولنحاربن بالنار والحديد والبارود وبالسيوف والخناجر والعصي فإن لم نجد يوما السلاح حاربنا بأيدينا ولنسوقن إلى الحرب شباباً أنضر من الزهر وأبهى من الضحى وأثبت من الجبل وأمضى من العاصفة فإن لم نجد يوما شبابا سقنا إليها الشيوخ والأطفال والنساء.[١٩]

ويمكن أن نقسم فن الخطابة في الآتية ولكل قسم له ميزة وهي الخطابة الدينية،والخطابة السياسية والخطابة الاجتماعية والخطابة العلمية.وسنأتي بعض الأمثلة من خطبه المذكورة في كتابه:

إن الأستاذ الطنطاوي خص بالذكر في هذا الكتاب قضية فلسطين ويعدها قضية المسلمين جميعا لا هي قضية الفلسطينيين وحدهم فيقول:"فهل الأقصى مسجدهم وحدهم؟وهل محمد نبيهم وحدهم؟ وهل القرآن لهم وحدهم؟ فانصروا فلسطين،وأنقذوا الحرم الثالث،لا من أجل العرب،بل لأنه مسرى محمد ولأنه بيت الله،أتدرون ما كان جوابه؟إنه لم يستطع الجواب،لأنه بكى حتى شرق بالدمع، وبذلك لنا هو وحكومته أكثر مما نطلب."[٢٠]

وقد أكد الأستاذ الطنطاوي في تحرير بلاد المسلمين من الاستعمار الأجنبي الكافر حيث يقول:"إن ذخر المسلمين من البطولة عن ينقطع أبدا حتى يستكملوا تحرير بلادهم ثم يكتبوا في تاريخ الدنيا مثل الصفحة التي كتبها الجدود"٢١ومن أجود النماذج من خطبه السياسية التي فيها

حماسة وحرارة"لقد استرد بها صلاح الدين القدس بعد ما لبثت في يد العدو ثلاثاً وتسعين سنة،فهل نعجز عن استرداد فلسطين ولم يمر على فقدها عشر سنين؟وكانت تحمي القدس يومئذ جيوش أوربة كلها بأبطالها ورجالها،فما خفنا أبطال أوربة ولا رجالها، فهل نخاف حثالة البشر ورجس الأرض اليهود؟"[٢٢]

ومن أمثال خطبه الدينية:"هذي ليلة الإسراء يا أيها السامعون ولكني لا أحدثكم حديث التاريخ فإنكم تعرفونه،ومن لم يكن يعرفه يستطيع أن يفتح كتب السيرة الصحيحة ويقرأه،إنكم جميعًا تعرفون قصة الإسراء،ولكنكم لا تعرفون أن المسجد الأقصى الذي كان مسرى محمد،وكان منه معراجه،لم يعد الحرم الآمن،ولم يعد يجد القائم فيه طمأنينة المتعبد وسكون الخاشع،ولكنه غداً ساحة حرب، مدافع اليهود مسلطة عليه من فوق الجبل،فكيف يا أيها السامعون والسامعات يستطيع المسلمون أن يحتفلوا بالإسراء،ومسرى نبيهم وقبلتهم الأولى تصلي بنار الأعداء؟كيف يهدؤون ويهنؤون وصخرة الأقصى قد اشتعلت من حولها النار،كيف يرضى نصار العرب أن تكون القيامة،وبيت لحم التي ولد فيها عيسى بن مريم روح الله وكلمته وعبده على مرمى مدافع اليهود؟

ماذا تنتظرون؟ أتنتظرون يوماً، تريدون أن تحتفلوا في بالأسراء،فتتلفَّتون إلى المسجد الأقصى،فترونه قد ذهب وقام فيه هيكل سليمان؟"[٢٣]

ومن أمثلة خطبته الاجتماعية التي يخاطب بها الأدباء والشباب وطلاب الأدب حيث يقول فيها:"إني ليسرُّني والله ويثلج صدري أن أرى إخواننا الشبَّان النابهين من طلاب البكالوريا،ينصرفون إلى الأدب، ويعالجون صناعة البيان، ويكتبون القصة والمقالة وينشرون في الصحف،وإني ليعجبني أن تنتعش الروح الأدبية في هذا البلد،ويسجّل في قائمة (المشتغلين بالأدب) أسماء جديدة،إذا لم يكن لأصحاها بلاغة شيوخ الأدب،واطّلاعهم الواسع،وعلمهم وعقلهم،فإن لهم لحماسة،وإن لهم لنشاطًا ليس للشيوخ مثله."[٢٤]وفي هذه الخطبة ينصح الأدباء الجدد،ويمنعهم عن الكتابة الفاحشة والأدب العاري التي لا تناسب قراءتها أمام الأسرة حيث يقول:

"ولكن لا أحب أن ينسى إخواننا الأدباء الجدد،وهم يكتبون وينشرون،أنه سيقرأ ما يكتبون الفتى الناشئ،والفتاة في الخِدْر،وأنه سيقرأ الجريدة الأب على أولاده والولد على أبيه،فلا يكتبوا فيها ما

تستحي الفتاة أن تقرأ على أبيها، ولا يألم الأب أن يقرأه على فتاته،ولا يكتبوا إلا ما تسمو به الأخلاق ويزكو به الأدب،وتقوي به الوطنية،وتعزّ به الفضيلة."[٢٥]

ويقول فيما بعد:"على أن الذي يدفع (أدباءنا الشاب) إلى هذا الأدب العاري...الأدب المخنَّث ... أنهم يقرؤون في قصص الغرب ويرون في روايات السينما مثله....ولا يعلمون أن الأدب في جملته والأدب القصصي على التخصيص، يجب أن يمثّل الحياة الموضعية، ويعرضها في أشكالها كلها، ويصف جوانبها جميعًا،ولا يعلمون أنه إذا مثّل هذا الأدب حياة الغرب، فإنه لا يمثل حياتنا، وإن زقاق الصخر وما فيه.. ليس دمشق كلها"[٢٦]

ومن أمثلة الخطب التاريخية مثل خطبة (حطين) وفيها يقول الطنطاوي:

"كان يوم أمس الأول، يوم الأربعاء، هو ذكرى معركة حِطِّين المعركة التي فتحت القدس، وأنقذت الشام من استعمار الصليبيين. وقد مرّ من غير أن يشعر به أحد،مرَّ كما تمرُّ الأيام كلُّها،مع أن من حقه علينا أن نجعله يومًا مُعلّماً من أيامنا الغرِّ المحجّلات".[٢٧]

ويبين فيها تاريخ حرب تحرير القدس حيث يقول:"بدأت هذه الحرب يوم الجمعة ١٧ ربيع الآخر، وكان صلاح الدين يتعمّد أن يواقعَ العدو يوم الجمعة،تبُّركاً به وبدعاء الخطباء فيه على المنابر،سنّة من يعلم أن إعداد القوّة إنما هو سبب من الأسباب، وسبيل إلى الإرهاب،﴿ وَمَا النَّصرُ إلا مِنْ عندِ اللهِ﴾فجمع جيوشه كلّها ونزل على بحيرة طبرية،وكانت هذه أول مرة تجتمع فيها قوى الطرفين جميعاً على تعبئة،وفي جبهة واحدة،وأخذ الجيش مواقعه ينتظر أن يهاجمه الإفرنج،فلما لم يتحركوا ولم يهاجموا،ترك صلاح الدين الجبهة على حالها"[٢٨]

النتائج

وفي نهاية هذا البحث الموجز عن الشيخ علي الطنطاوي وأسلوب خطبه في كتابه (هتاف المجد) أُقدم بعض النتائج والتوصيات فمن النتائج لهذا البحث الموجز:

إن الشيخ علي الطنطاوي عالماً وخطيباً بليغاً وأديباً عربيًا.

إن الخطب التي ألقاها الشيخ علي الطنطاوي كلها مؤثراً ومفيداً.

عدد الخطب لا نعرفها حتى قال الطنطاوي ولو أني دونت كل ما كنت ألقيته كما دونت هذه الخطب لكان لديّ منها ما يملأ عشرة كتب من أمثل هذا الكتاب.

حرص الجامعات والمعاهد على إدراج كتبه في مناهجهم الدراسية.

على الجمعيات والمؤسسات والمكتبات الاهتمام بترجمة كتب الشيخ ومقالاته خاصة إلى اللغتين الأردية والإنجليزية.

على الجامعات والجمعيات والمؤسسات عقد المؤتمرات والندوات بعنوان شخصية علي الطنطاوي وخدماته في الأدب العربي على المستوى الحكومي والشعبي.ينبغي للمعلمين والأساتذة أن يوجهوا تلاميذهم بدراسة كتب الشيخ قراءة وتحقيقا،وبخاصة خطب الشيخ علي الطنطاوي.

على الباحثين أيضا أن يدرسوا حياته ويكشفوا لنا جوانبها التي لم يتم الاطلاع عليها.

الهوامش والمصادر

١- ذكريات علي الطنطاوي،دار المنارة للنشر والتوزيع،جدة السعودية،١٩٨٥،ص/٥٤
٢- نفس المصدر،ص/٣٠
٣- نفس المصدر،ص/٣٧
٤- بعض الآراء التربوية للشيخ علي الطنطاوي،عبدالله بن جبريل أبو القاسم فلاتة،رسالة علمية،ص/٢٠
٥- ذكريات علي الطنطاوي،ص/ ٨٣-٨٤
٦- ذكريات علي الطنطاوي،ص/ ١٧٥.
٧- ذكريات علي الطنطاوي،ص/ ٩٢.
٨- نفس المرجع ، ص/ ٩٣.
٩- سورة الشورى،رقم الآية/ ٤٩
١٠- ذكريات علي الطنطاوي، ج/٦،ص/٢٥٣
١١- الشيخ الطنطاوي واسهاماته في النثر الحديث،ص/٣،
١٢- مختارات من أدب العرب،لأبي الحسن علي الندوي، ج/١،ص/١٤٩
١٣- ذكريات علي الطنطاوي، ج/٧،ص/١١٠
١٤- الذكريات، ج/٨، ص/٢٣٣
١٥- ص/١٤٠
١٦- ذكريات علي الطنطاوي، ج/٥،ص/١٣٢
١٧- هتاف المجد،علي الطنطاوني،دار الدعوة بدمشق،١٩٦٠م،ص/٤
١٨- الطنطاوي وإسهامات في النثر العربي،ص/١٥٨
١٩- هتاف المجد،ص/٤٣
٢٠- هتاف المجد،شيخ علي الطنطاوي،ص/٤٣
٢١- علي الطنطاوي وإسهاماته في النثر الجديد،عبدالله فاروق،أطروحة الدكتوراه،قدمت إلى قسم اللغة العربية،جامعة علي كره،الهند،٩٥١٩
٢٢- هتاف المجد،ص/١٨٢
٢٣- هتاف المجد،ص/٥٣
٢٤- هتاف المجد، ص/١٧٥
٢٥- هتاف المجد،ص/١٧٥.
٢٦- هتاف المجد،ص/١٧٦
٢٧- هتاف المجد،ص/١٨٠
٢٨- هتاف المجد،ص/١٧٨-١٧٩